الهُوِيَّةُ الإِسْلاَمِيّةُ

حزب التحرير – أوروبا

الهُوِيَّةُ الإِسْلاَمِيّةُ

هذا الكتيب أصدره

حزب التحرير – أوروبا

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

(الأنعام ١٦١-١٦٣)

فهرس المحتويات

- تمهيد ..... ص ٩
- مفهوم الهويّة ..... ص ١٢
- التميّز ..... ص ١٤
- المطابقة ..... ص ٢٢
- الثبات ..... ص ٢٦
- الاعتزاز ..... ص ٣٠
- الانتماء إلى جماعة ..... ص ٣٣
- أهمّية اللغة العربية ..... ص ٣٨
- المحافظة على الهويّة ..... ص ٤٤
- خاتمة ..... ص ٤٧

تمهيد

إنّ بحث الإنسان عن هوّيته، يشمل البحث عن ذاته، وعن موقعه في الوجود، وعن الغاية من وجوده، وعن انتمائه إلى جماعة، وعن دوره في المجتمع، وعن عناصر تميّزه بوصفه الفردي أو الجماعي عن الآخر. كما يشمل أيضا، البحث عن ثوابت له يعي عليها ويتبناها ويلتزم بها، فتكون مبعث عزّه، ومنبع فخره، يحيى بها، ويقاتل من ورائها، ويموت من أجلها.

فليست الهوّية، كما يظنّ بعض النّاس، مجرّد بطاقة تدوّن فيها بيانات العمر والطول والعنوان، بل هي في حقيقتها أعمق من ذلك وأخطر، بها يكون الإنسان وبدونها ينعدم؛ إنّها حقيقة الإنسان كما وعى عليها فكره، وموقف انتماء إلى حضارة خاصة وأمّة معينة.

والمسلم الذي أقرّ بشهادة الحقّ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فاقتنع بها عقله، وانعقد عليها قلبه، وتكيف وفقها سلوكه، هو صاحب هوّية وأيّ هوّية؛ هوّية متجذرة في الوجود، أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثبتت بالحقّ من لدن الحقّ تبارك وتعالى، تستلهم هديها من هدى ربّ العالمين، وتستمد عزّها من ذي العزّة والجبروت، وتؤدي رسالتها في الكون بأمر من ذي الملك والملكوت. قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** (فصلت ٣٣).

فالعجب كلّ العجب، أن يتحدث بعض المسلمين اليوم عن أزمة هوّية عند الأمّة الإسلامية، مع أنّ الله عزّ وجلّ قد أكرم هذه الأمّة بدين الإسلام فأخرجها من الظلمات إلى النّور، وبصّرها بحقيقة وجودها، والغاية منه، وهداها الصراط المستقيم، وشرّع لها ما إذا أخذت به سعدت في الدنيا والآخرة.

والأعجب من ذلك، أن يتحدث بعض المسلمين في بلاد الغرب عن إسلام أوروبي أو أمريكي بحجة حلّ أزمة الهوّية عند المسلمين في تلك البلاد، وإيجاد هوّية معاصرة لهم توفق بين حقّ الانتماء إلى دين الإسلام وواجبات المواطنة في البلاد الغربية التي منحتهم حقّ الإقامة فيها والتجنّس، وكأنّ الإسلام عند هؤلاء لا يكفي وحده لبناء هوّية الإنسان وتحديدها، أو كأنّ الهوّية تقبل التلفيق والجمع بين المتناقضات.

لقد نسي هؤلاء أنّ الهوّية وحدة لا تقبل الانفصام، وموقف لا يقبل المساومة، وثابت لا يقبل التغيّر، وكينونة لا تقبل الانشطار؛ نسوا أنّ الإسلام مبدأ كفيل بأن يحقّق الإنسان من خلاله ذاته، ويحدّد وفقه هويّته. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام ٧١) وقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام٨٢).

لذلك، كان لزاما على هؤلاء خاصة، وعلى المسلمين عامة، أن يدركوا معنى انتمائهم إلى الإسلام وانتسابهم إليه، وأن يعوا معنى الهوّية الإسلامية وعيا يبعث في نفوسهم السكينة والعزّة، فإذا قيل لأحدهم: من أنت؟ قال في طمأنينة واعتزاز ما أمره ربّه سبحانه وتعالى أن يقوله: ﴿**إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (فصلت ٣٣).

مفهوم الهوّية

عرّفت الهوّية بتعريفات كثيرة منها:

- "هي ما يجعل الشخص مماثلاً لنفسه ومختلفاً عن الآخرين".
- هي "المميز عن الأغيار".
- هي "حقيقة الشّخص المطلقة المتضمّنة لصفات جوهريّة تميّزه عن غيره".
- هي "السمات المشتركة التي تميّز بها جماعة معينة نفسها وتعتز بها".
- هي "مجموعة من الميزات والبنى الموضوعية المعبرة عن تفرد المجموعات، أفراداً أو جماعات".
- هي "استمرارية الإنسان في الزّمن وبقاؤه على ما هو عليه أو به".
- هي "شخصية الفرد المتميزة الملازمة لكينونته".
- هي "جواب سؤالنا: ما الذي يميّزنا عن الآخرين؟".
- هي "ميزة كون الشيء مطابقاً لشيء آخر".
- هي "الحقيقة التي تعطي الماهية تشخّصها ووجودها الظاهر. فهي إِنِّيتها ونفسها والجوهر، أي هي الذات، وما يلازم هذه الذات ويَلزمها، إذ به يتحقق لها الوجود باعتبارها مجموع المقومات والخصوصيات التي بها تتأكد الماهية".

والملاحظ أنّ من هذه التعريفات ما يبرز الجانب الفردي فيركّز على الوعي على الذات وتحقّق الشخصية الفردية (أو كما يقولون: الأنا)، ومنها ما

يبرز الجانب الجماعي فيركّز على الانتماء إلى جماعة (أو كما يقولون: النحن) والوعي على الفروق مع الأغيار (أو كما يقولون: الآخر).
والصواب، أنّ الهويّة كلّ ذلك؛ فهي متعلّقة بوعي الفرد على ذاته، ومتعلّقة بإحساسه بالانتماء إلى جماعة، ومتعلّقة بإدراكه للفروق التي بينه وبين الآخر.

وعليه، لنا أن نعرّف الهويّة تعريفا يحدّد ماهيتها ومتعلقاتها بقولنا: الهوّية هي وعي الإنسان على حقيقة ذاته التي تميّزه بوصفه الفردي أو الجماعي عن الآخر.

ولنا أيضا أن نعرّفها من خلال العناصر المكوّنة لها التي إذا وجدت، وجدت الهوّية، وإذا انعدمت، انعدمت الهوّية. وهذه العناصر هي: التميّز، المطابقة، الثبات والاعتزاز.

التميّز

يعني التميّز الانفصال، كقولهم: تَمَيَّز القوم وامْتازوا: أي صاروا في ناحية، ويعني أيضا التفرد ببعض الشيء عن الغير، وعدم المماثلة.

ولما كان بحث التميّز، كعنصر من عناصر الهويّة، متعلّقا بالإنسان، كان لزاما علينا أن نلقي نظرة فاحصة عميقة على هذا الإنسان، لنحدّد من خلالها أوجه المماثلة والتغاير، والتشابه والاختلاف، والاختصاص والاشتراك بين بني الإنسان بوصفهم الفردي والجماعي.

والنظرة العميقة إلى الإنسان تري أنّ فيه غرائز وحاجات عضوية تدفعه إلى السلوك في الحياة من أجل إشباعها، ولديه عقل ينظّم له عملية الإشباع وكيفيته. والملاحظ أنّ الإنسان من حيث هو إنسان لا يختلف عن أخيه الإنسان في غرائزه وحاجاته العضوية؛ فالجوع والعطش، والخوف، والتقديس، والرغبة في التملك وممارسة الجنس والإنجاب وغير ذلك، كلّها مظاهر للغرائز والحاجات العضوية، نجدها عند البشر جميعهم، سواء منهم الأسود والأبيض، والعربي والأوروبي، والمؤمن والملحد، فلا فرق في ذلك بينهم.

والملاحظ أيضا أنّ الإنسان يختلف عن أخيه الإنسان في كيفية الإشباع أي في النظام الذي يسير عليه في عملية إشباع غرائزه وحاجاته العضوية، وفي الأشياء محلّ الإشباع. فنجد لحم الخنزير عند أحدهم مما يجوز إشباع جوعة

المعدة به، وعند الآخر مما لا يجوز، ونجد الزنا عند أحدهم مما يجوز، وعند الآخر مما لا يجوز.

فالغرائز والحاجات العضوية، وما ينتج عنها من دوافع، مما يشترك فيه البشر قاطبة فلا فرق فيه بينهم البتة، والنظام الذي ينظّم عملية الإشباع لدى البشر، والمفاهيم الضابطة لسلوكهم عن الأشياء محلّ الإشباع وكيفيته، مما يختلفون فيه. وبعبارة أخرى فإنّ المشترك بين البشر هو ما جبلوا عليه، وكان فيهم خِلقة أي هو الفطرة، والمختلف بينهم الذي يميّزهم أفرادا وجماعات هو المكتسب الناشئ عن تفاوت الرؤى إلى الأمور والأشياء. فالرغبة في التملك، والرغبة في ممارسة الجنس، والتقديس، والحاجة إلى الأكل والشرب، فطرة في البشر يستوون فيها ولا يتميز بها أحد عن الآخر. وأما العقائد والأنظمة والمقاييس والأفكار والثقافات، فمكتسبة عند بني الإنسان، يتميّز بها أحدهم بوصفه الفردي أو الجماعي عن الآخر.

ويضاف إلى ما يتميّز به إنسان عن إنسان آخر، العرق، واللون، والجنس، واللغة، والوطن. فهذه الأمور الخمسة، وإن كانت غير مكتسبة عند الإنسان، وغير داخلة في دائرة اختياره، إلاّ أنّها مما يتميّز بها إنسان عن آخر؛ فالعربي غير الفارسي من حيث اللغة، والمغولي غير الآري من حيث العرق، والأسود غير الأبيض من حيث اللون، والذكر غير الأنثى من حيث الجنس أو النوع، والمصري غير الفرنسي من حيث الوطن.

وما زال البشر يستمدون عناصر تميّزهم من خلقتهم وما جبلوا عليه، فترى الأبيض يتعالى على الأسود، والذكر على الأنثى، والعربي على العجمي، والآري على غيره. وقد اعترف الفيلسوف الفرنسي رينان بهذه النظرة فقال: «جنس واحد يلد السيادة والأبطال هو الجنس الأوروبي، فإذا ما نزلت بهذا الجنس النبيل إلى مستوى الحظائر التي يعمل فيها الزنوج والصينيون فإنه يثور، فكل ثائر في بلادنا هو بطل لم يتح له ما خلق له»، ومن قبله مونتسيكيو الذي قال في كتابه الشهير (عن روح القوانين): «حاشا لله أن يكون قد أودع روحا في جسد حالك السواد»، ومن قبلهما إبليس الذي قال في آدم: **﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾** (الأعراف١٢) فظنّ أن تميزه الجبلي، وصفته الخلقية، أساس خيرية فيه.

ولما جاء الإسلام، وقد أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون خاتم الأديان، نقل البشرية نقلة فكرية وحضارية نوعية، فأبطل فكرة التميّز على أساس خلقي جبلي، أو ما لا دخل للإنسان فيه، وأقرّ التميّز على أساس ما هو مكتسب لديهم، وعمّم التكريم على البشر كلّهم، بغض النظر عن جنسهم، ولونهم، وعرقهم وغير ذلك مما لا اختيار لهم فيه، وجعل الأفضلية بين البشر جميعهم فيما هو مكتسب لديهم، وفيما هو واقع في دائرة اختيارهم. قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾** (الإسراء٧٠) وقال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**.

(الحجرات١٣) وقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ**﴾ (الزمر٩) وقال: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ (غافر٥٨) وقال: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾ (الجاثية٢١).

إنّ الإنسان إذا ما ابتعد عن الهوى وفكّر تفكيرا نزيها، أدرك أن ليس لونه، ولا عرقه، ولا جنسه، ولا وطنه، ولا لغته، سبب تميّزه؛ لأنّ التميّز الذي يصح أن يكون مبعث عزّ وفخر هو ما حقّقه الإنسان بذاته، وما توصّل إليه بنفسه.

والذي يتوصّل إليه الإنسان بنفسه، ويجري بفعله هو امتلاكه لكيفية تفكير وميل معينة؛ فيكون عقله للأشياء والأمور، وإدراكه لها وحكمه عليها، جاريا وفق كيفية معينة تميّزه عن غيره، ويكون ميله إلى الأشياء والأمور، وإقباله عليها أو إحجامه عنها، جاريا وفق كيفية معينة تفرّق بينه وبين غيره. وبعبارة أخرى فإنّ التميّز نابع من عقلية الإنسان ونفسيته. لذلك كانت عقلية المسلم ونفسيته، غير عقلية الرأسمالي ونفسيته، وغير عقلية الشيوعي ونفسيته، وكان المسلم غير الرأسمالي والشيوعي. ولهذا نجد المسلم والرأسمالي يختلفان في أشياء كثيرة، كالخمر مثلا التي يختلفان في الحكم عليها، وفي الميل إليها، فيحرمها أحدهما ويجتنبها، ويبيحها الآخر وينتفع

بها. ونجد الأبيض في بعض بلاد الغرب يعتبر بياضه عنصر تميّز، في حين لا يعتبر المسلم الأبيض بياضه عنصر تميّز.

وإذا ما ارتفع الإنسان عن درجة التميّز الجبلي، أو الخلقي، أو ما لا دخل له فيه و لم يجر بفعله، وانطلق بفكره في هذا الوجود يكشف أسرار الحياة الدنيا، ويربطها بما قبلها وما بعدها، ساعيا لإدراك كنه وجوده والغاية منه، وراغبا في الارتقاء بسلوكه عن درك الحيوان، فإنه يصل إلى الحقيقة التي تقنع عقله، وتوافق فطرته، وتبعث في نفسه السكينة والطمأنينة، فيدرك أنه كالأبيض والأسود والأصفر والأحمر، وكالتركي والعربي والآري واليهودي، وكالمقيم في مصر أو ألمانيا أو روسيا أو البرازيل، مخلوق لخالق هو الله سبحانه وتعالى؛ خلقه، واستخلفه في هذه الأرض، وكلّفه فيها فأمره بأمور ونهاه عن أخرى، وسيحاسبه على إيمانه وعمله لا على مظهره وما لا اختيار له فيه. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، وفي رواية: «**إِنّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُم وَلاَ إِلَى صُوَرِكُم، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**. وأَشَار بِأَصَابعه إلى صَدْرِه» (رواهما مسلم). وعن عقبة بن عامر الجهني عن رسول الله ﷺ قال: «**النَّاس لآدم وحواء كطف الصّاع لم يملئوه، وإن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم، أكرمكم عند الله أتقاكم**» (رواه الروياني في مسنده وابن جرير في جامعه وابن سعد في الطبقات). وعن عقبة أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أنسابكم هذه**

ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم طف الصّاع لم تملئوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدّين أو عمل صالح» (رواه أحمد في المسند).

وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها النّاس، ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**» (رواه أحمد في المسند).

وهنا يتجلى التميز بين إنسانين؛ إنسان آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي آمن بالإسلام عقيدة ونظاما فخرج من الظلمات إلى النور، وإنسان كفر بذلك أو ببعضه فلا يزال يتخبط في دياجير الظلمات. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء**﴾ (النساء٨٩)، وقال: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ**﴾ (السجدة١٨)، وقال: ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾ (الرعد١٦).

وعليه، فإنّ الإسلام وحده هو عنصر التميّز لدى المسلمين، فمنه يستمدون تميّزهم وبه يحقّقونه. ويظهر تميّز الإسلام في الأمور كلّها. فمن ذلك تميّزه في عقيدته، ووجهة نظره في الحياة، وفلسفته عنها، وقيمه.

فالعقيدة الإسلامية عقيدة عقلية؛ لأنّها مبنية على العقل، وليست مبنية على الحلّ الوسط كالعلمانية. وهي عقيدة سياسية؛ لأنها ترعى شؤون الخلق في

الدنيا، فتنبثق عنها أحكام تعالج شتى مظاهر الحياة، وهي أيضا عقيدة روحية ترعى شؤون الخلق في الآخرة. لذلك كان الإسلام، على النقيض من الرأسمالية، دينا منه الدولة، وليس فيه الفصل بين ما هو دنيوي وأخروي.

وأمّا وجهة النظر في الحياة وهي التي تتحكم في سلوك الإنسان من حيث الإقدام على الأفعال والأشياء أو الإحجام عنها، فقائمة على أساس الحلال والحرام، وليست قائمة على المنفعة والمصلحة كما هي وجهة النظر عند الرأسمالية؛ لأنّ تحديد المصلحة في الإسلام راجع إلى الشرع وليس إلى الإنسان. ولذلك ترى المسلم يتحرى الحلال والحرام في عمله، فما كان حلالا فعله وما كان حراما تركه.

وأمّا فلسفة الإسلام في الحياة فتقوم على مزج المادة بالروح، أي على إدراك الصلة بالله حين القيام بالعمل، فيشبع الإنسان وفقها حاجاته العضوية وغرائزه حسب أمر الله ونهيه أي حسب نظام من عند الله، وليس من عند البشر. وهذا على النقيض من فلسفة الرأسمالية العلمانية القائمة على فصل المادة عن الروح وإنكار أنّ للدين أثراً في الحياة.

وأمّا القيم، وهي الغايات المقصودة من القيام بالأعمال، فهي في الرأسمالية واحدة أساسية هي القيمة المادية، وأما البقية فثانوية اعتبارية قد يلتفت إليها وقد لا يلتفت، بيد أن القيم في الإسلام ليست اعتبارية وإنما هي حقيقية، وهي أربع؛ المادية، والروحية، والخلقية والإنسانية. وقد طلب الإسلام من

الإنسان أن يسعى لتحقيقها بدون مفاضلة بينها. لذلك يظهر في عمل المسلم تلقائياً ما هو إنساني، وما هو مادي، وما هو روحي، وما هو أخلاقي.

لذلك كلّه كان الإسلام مبدأً متميّزاً في عقيدته وأنظمته، وكان هو الأساس الذي يجعل المؤمن به متميّزاً في عقليته، ونفسيته، وسلوكه.

المطابقة

يعنى بالمطابقة الموافقة بين شيئين بإيجاد الانسجام والتناسق بينهما. ويعنى بها أيضا كون الشيء على ما هو عليه في حقيقته. والمطابقة كعنصر من عناصر الهوّية تطلق على المعنيين.

فالمعنى الأوّل لها، وهو متعلّق بعنصر الهويّة الأوّل الذي هو التميّز، يتمثّل في إيجاد التوافق المستمر، والانسجام الدائم بين العناصر المكوّنة لشخصية الإنسان، وهي العقلية (الكيفية التي يجري عليها عقل الشيء) والنفسية (الكيفية التي يجري عليه إشباع الغرائز والحاجات العضوية). وذلك بجعل القاعدة الفكرية التي يتبناها الإنسان أساسا دائميا لتفكيره وميله، بحيث يكون اتجاه الإنسان في عقله للأشياء وميله إليها اتجاهاً واحداً مبنياً على أساس واحد يراعى في كلّ الأحوال والأوقات.

والمسلم الذي آمن بالعقيدة الإسلامية، لا يرضى إلا بها كأساس لعقليته ونفسيته، فيجعل منها وحدها قاعدة تبنى عليها الأفكار وتكوّن على أساسها المفاهيم، وتقاس حسبها الإشباعات، فيستحضرها في كلّ أحواله، ويعتمد عليها وحدها في حكمه على الأشياء وميله إليها، ويأبى أن يتخلى عنها، أو أن يحكّم غيرها، أو أن يفارقها من أجل متعة دنيوية عابرة، أو مصلحة آنية. قال الرسول ﷺ: «**إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ**» (رواه أبو داود عن أبي

هريرة)، وقال ﷺ: « **لاَ يَزْنِي الزّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلاَ يَسْرِقُ السّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ النّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهِبُهَا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» (متفق عليه من حديث أبي هريرة). والمعنى من الحديثين نفي الكمال لا نفي مطلق الإيمان. وهو تنبيه من النبي ﷺ على ما ذكرناه من وجوب المطابقة بين العقلية والنفسية في كلّ الأحوال والأوقات؛ لأنّ المسلم الذي يقترف حراما، كأن يتعامل بالربا أو يزني أو يسرق أو يكذب أو غير ذلك، هو في الواقع لم يكفر بالعقيدة الإسلامية، وإنما حكّم غيرها في ميله، واستمدّ مفهوماً لعمله من غيرها، فكان كالمفارق للإيمان ساعتها.

وأمّا المعنى الثاني للمطابقة، وهو كون الشيء على ما هو عليه في حقيقته، فيتمثّل في حياة الإنسان المسلم بالإسلام، وذلك بأن يكون عمله من جنس علمه، وفعله من جنس قوله، وظاهره كباطنه. فلا يحقّق ذاته قولاً فقط، إنما يحقّقها فعلاً، ولا يعيش بأفكاره في حبس ذهنه، إنما يعيش بها في واقعه، فيظهر عليه الإسلام في حركاته وسكناته، ويتمثّل في سلوكه، سواء أكان في دار الإسلام أم في دار كفر. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصف٢-٣)، وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ**

تُوعَدُونَ﴾ (فصلت٣٠). ووصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ بقولها: "كان خلقه القرآن" (رواه أحمد في المسند).

ولما كان الإيمان بالإسلام قولاً باللسان، وعملاً بالأركان، ولم يكن بالتّمني ولا بالتّحلي، إنما ما وقر في القلب وصدّقه العمل، كان لزاماً على المسلمين أن يجسدوه في الواقع. فعليهم أن يعبدوا الله تعالى بما شرّعه لأنّ إسلامهم عبادة، وعليهم أن يحملوا الدعوة إلى المسلمين وغير المسلمين لأنّ إسلامهم رسالة، وعليهم أن يكافحوا سياسيا بقول الحقّ وكشف خطط الاستعمار ومحاسبة الحكام وفضح العملاء لأنّ إسلامهم سياسة، وعليهم أن يعملوا مع العاملين لإقامة الخلافة لأنّ إسلامهم دولة، وعليهم أن يلتزموا بالصدق والوفاء والأمانة وأن يجتنبوا الكذب والخداع والغدر لأنّ إسلامهم أخلاق. وبعبارة أخرى فعليهم أن يعيشوا الإسلام كلّه ويعيشوا به. قال الله سبحانه وتعالى: **﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** (الأنعام ١٦١-١٦٣). وقال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** (البقرة ٢٠٨). قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها، وقد يدخل في {الذين آمنوا} المصدّقون بمحمد

صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، والمصدّقون بمن قبله من الأنبياء والرسل وما جاءوا به، وقد دعا الله عز وجل كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده والمحافظة على فرائضه التي فرضها، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية عامة لكل من شمله اسم الإيمان".

الثّبات

لا يكفي التميّز والمطابقة من أجل تحقيق الهوّية، فلا بدّ من المدوامة على ذلك، والاستقرار عليه والاستمرار فيه، أي لا بدّ من الثبات.

والثبات، بما يحمله من معان كالاستقرار والدوام والعزم والإصرار، لا ينافي الحركة، ولا يعني الجمود والخمول والسكون والركود، ولا ترك الاجتهاد والتجديد والإبداع والإنشاء والارتقاء، إنما يعني الاستقرار على عناصر التميّز المكتسبة بفكر، والاستمرار فى حملها والمحافظة عليها.

ومن أجل استكمال المسلم عناصر تحقيق هويّته، عليه الثبات على الإسلام أصولاً وفروعاً، عقيدة ونظاماً، مهما تبدل الزمان واختلف المكان، ومهما تعرض لمضايقات أو مساومات. فقد تعرض النبي ﷺ للأذى والمكروه فتحمّل ذلك كلّه وصبر، وتعرض للمساومات والإغراءات فردّ ذلك كلّه وثبت وقال: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**» (سيرة ابن هشام). وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم، فقد تعرضوا إلى محنة شديدة في الحبشة، حينما ذهب وفد قريش ليستردهم، وقالوا عندما سألهم النجاشي عن رأي الإسلام في عيسى بن مريم عليه السلام: «نقول والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن» (القصة أخرجها أحمد في مسنده)، فثبتوا على دينهم، و لم

يبدّلوا، ولم ينافقوا، ولم يفكّروا في العواقب، وأرضوا الله سبحانه وتعالى بقول الحقّ فرضي عنهم وأرضاهم.

والثبات، كعنصر من عناصر الهوّية الإسلامية، يعني دوام القناعة بعقيدة الإسلام ومعالجاته، ومقاييسه ومفاهيمه وقيمه، والاستقرار على ذلك دون تبديل أو تحريف أو شكّ. فهو من هذه الجهة ثبات فهم، وعلم، وإدراك، وإيمان. قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾** (المائدة٤٨) وقال: **﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾** (المائدة٤٩) وقال: **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾** (البقرة٥٩) وقال: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** (يونس١٥).

ويعني الثبات أيضا، الاستقرار على نمط العيش الإسلامي، وديمومة ممارسة الإسلام وتطبيقه في الحياة، وذلك بجعل الحلال والحرام مقياس الأعمال في كلّ الأحوال، والأوقات والأمكنة. فهو من هذه الجهة ثبات عمل، وممارسة، وتطبيق. قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (الجاثية١٨) وقال: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ**

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب٢٣). وأخرج الشيخان عن أبي حازمٍ قال: سَمِعْتُ سَهْلاً يَقُولُ: سَمِعْتُ النّبيّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً. وَلَيَرِدَنّ عَلَيّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَ النّعْمَانُ بن أَبِي عَيّاشٍ وَأَنَا أُحَدّثُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ. فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلاً يَقُولُ؟ قَالَ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فَيَقُولُ: «**إِنّهُمْ مِنّي. فَيُقَالُ: إِنّكَ لاَ تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدّلَ بَعْدِي**».

فالثبات لازم لتحقيق الهوّية؛ لأنّه يدلّ على قناعة راسخة بخصائص التميّز، وعلى وعي عليها، وعلى عزم وإصرار على التمسك بها. لذلك كان الثبات من صفات المؤمنين الأقوياء الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، واستحكم في صدورهم، وجرى فيهم مجرى الدم في العروق، فلا تفتنهم الشبهات، ولا تزلزلهم المعارضات، وكان عدم الثبات من صفات الضعفاء الذين لا هوّية لهم، فمنهم **﴿مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾** (الحج١١)، ومنهم الإمّعة الذي يتبع كل ناعق، فلا رأي له يثبت عليه ولا موقف لديه يدعو إليه، ومنهم من تكلّف ما لا يطيق وشدّد على نفسه وعلى غيره، فلمّا أمتحن توقّف وسط الطريق فلا يقدر على العودة ولا على الاستمرار، فهو كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً

أبقى، ومنهم المنافق المذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. أخرج مسلم عنِ ابنِ عمر أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ. تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرّةً**» وزاد النسائي: «**لاَ تَدْرِي أَيّهَا تَتْبَعُ**».

فالثبات وهو الاستمرار على الأمر حتى الموت من أهم عناصر الهوّية، وهو ما أكّده الله سبحانه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران١٠٢)، وأكّده النبي ﷺ بقوله: «**إنّ العبد ليعمل فيما يرى النّاس عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى النّاس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها**» (رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي).

الاعتزاز

العِزّة لغة: هي القوّة والشدّة والغلبة والرفعة والامتناع. ويقال: اعْتَزَّ بِفلان: أي عَدّ نفسه عزيزا به، واعتزَّ به وَتَعَزَّزَ إذا تشَرَّف.

والأصل في ذلك، أنّ الإنسان يميل غريزيا، بحكم شعوره الدائم بالعجز والنقصان والمحدودية، إلى الاحتماء بقوة عظيمة عنده يستمدّ منها الغلبة والنصرة، فيجعلها مصدر قوة يتقوّى بها ويحتمي، ومبعث فخر يتشرّف بالانتماء إليها والانتساب، وهو ما يطلق عليه الاعتزاز.

فأمّا مصدر القوة والغلبة والرفعة، فهو الله عزّ وجلّ. ولذلك كان من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى: العزيز أي القويّ الغالب كلّ شيء والممتنع فلا يغلبه شيء، والمعزّ أي الواهب العزّ لمن يشاء من عباده. قال تعالى: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾** (فاطر ١٠) وقال: **﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا ﴾** (النساء١٣٩) وقال: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (المنافقون٨). لذلك، فإنّ المسلم لا يعتزّ إلاّ بالله، ولا يستمدّ القوة والغلبة والنصرة إلا منه. فالعزّة بالله هي العزّة الحقيقية الدائمة الباقية، وأما العزّة بغيره فهي مذلّة.

وأمّا الاعتزاز بمعنى التشرّف بالانتساب إلى جهة ما والافتخار بذلك، فقد أبطل الإسلام اعتزاز البشر بالبشر أو بقومياتهم أو بأعراقهم أو بأوطانهم أو

بغير ذلك، وجعل الاعتزاز بالإسلام وحده؛ لأنّ التفاضل والخيرية في الإيمان لا غير. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ**﴾ (السجدة١٨)، وقال ﴿**أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (فصّلت٤٠).

وعن جُنْدُبِ بنِ عبد اللّه الْبَجَلِيّ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عمّيّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيّة، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيّة، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيّة**» (رواه مسلم)، وعن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنّا مَنْ دَعَا إِلى عَصَبِيّةٍ، وَلَيْسَ مِنّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيّةٍ، وَلَيْسَ مِنّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيّةٍ**» (رواه أبو داود)، وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن دعا دعوى الجاهلية فهو جثاء جهنم. قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: نعم، وإن صام وصلى، ولكن تسموا باسم الله الذي سماكم عباد الله المسلمين المؤمنين**» (رواه أحمد في المسند)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أذهب الله عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والنّاس بنو آدم وآدم من تراب**» (رواه الترمذي)، وعن أُبيّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعزى بعزاء الجاهلية** [أي افتخر بأبيه ونسبه] **فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**» (رواه النسائي في السنن الكبرى)، وعن طارق بن شهاب قال: «لما قدم عمر بن الخطاب الشام عرضت له مخاضة، فنزل عمر عن بعيره، ونزع خفيه – أو قال موقيه– ثم أخذ بخطام راحلته وخاض المخاضة. فقال

له أبو عبيدة بن الجراح: لقد فعلت يا أمير المؤمنين فعلا عظيما عند أهل الأرض، نزعت خفيك وقدّمت راحلتك وخضت المخاضة. قال: فصك عمر بيده في صدر أبي عبيدة فقال: أوه، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، أنتم كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى» (رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب). وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

إنّ ديناً عقيدته هي الحقّ، ونظامه هو العدل، ورسالته هي الرّحمة، حقيق أن يعتزّ به المسلم، ويباهي به ويفاخر، ولا يخجل من الانتساب إليه، فيبيّن أحكامه كما أنزلت، ويصرّح بمفاهيمه كما جاءت. قال الله عزّ وجلّ: **﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ منْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (الأعراف٢) وقال سبحانه: **﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾** (هود١٢). فإذا ما فعل المسلم ذلك، واعتزّ بدينه، كان حقّاً صاحب هوّية.

الانتماء إلى جماعة

يدفع الإنسان حبّه للبقاء كفرد ونوع إلى العيش في جماعة. ولذا قيل: الإنسان مدني بالطبع أي لا يستطيع العيش بمعزل عن جماعة بشرية.

وقد أقرّ الإسلام هذا الدافع الفطري، فحثّ على لزوم الجماعة ومخالطة الناس. فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**» (رواه أحمد في المسند). وعن عمر عن النبي ﷺ قال: «... **عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**» (رواه الترمذي في السنن). وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» (رواه ابن ماجه في السنن). وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية**» (رواه أبو داود في السنن).

وعليه، فإنّ انتماء الإنسان إلى جماعة ما يعيش معها وبينها، فوق كونه من مظاهر الغريزة، فهو من مطالب الشرع.

ولأنّ الجماعات البشرية كثيرة مختلفة، ويحقّق مطلق الانتماء إليها مطلق مطلب الغريزة، فقد اعتنى الشرع نفسه بهذا الأمر، فلم يكتف بمطلق طلب

الانتماء، ولم يترك نوع الجماعة الواجب على المسلم الانتساب إليها مبهما، بل بيّن ذلك بياناً مفصّلاً، وحدّده تحديداً جليّاً لا يقبل الشبهة؛ فألزم المسلم بالانتماء إلى جماعة واحدة، ألا وهي جماعة المسلمين أو الأمّة الإسلامية.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ (الحجرات١٠)، وقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (آل عمران١٠٣). وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (متفق عليه). وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا** [وشبك بين أصابعه]» (متفق عليه). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره**» (رواه مسلم). وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث:... والتارك لدينه المفارق للجماعة**» (رواه مسلم). وفي رواية البخاري: «**والمارق من الدّين التارك للجماعة**». وعن أبي هريرة عن

النبي ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية... ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**» (رواه مسلم).

فهذه الأدلة كلّها تثبت حثّ الشرع للمسلم على الالتزام بأخوة الإيمان في الدّين والأخلاق والمعاملة، وحثّه أيضا على الالتزام بالنظام السياسي الذي ينظّم أمور الجماعة ويرعى شؤونها. وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الرابطة التي تجمع بين المسلمين رابطة مبدئية أي رابطة العقيدة التي ينبثق عنها نظام.

ولسائل أن يسأل: ما علاقة هذا ببحث الهويّة؟

والجواب هو أنّ سعي الإنسان لتحقيق هويّته ينتج وعيه على ذاته كفرد له كيان خاص به، ممّا يولّد لديه السؤال عن علاقته بالغير أو الآخر، هل هي علاقة تناسق وانسجام أم علاقة صراع واصطدام؟ فالإنسان، بعد عقله لذاته وإدراكه لوجوده ككائن فرد، يدفع غريزياً للعيش مع جماعة، فينشأ عن هذا الدفع سؤال العلاقة بالجماعة: هل تطغى فرديته على الجماعة، أم تذوب فرديته في الجماعة؟

وقد حاولت الفلسفات البشرية والمبادئ الوضعية الإجابة عن هذا السؤال، فمنها من غلّب النزعة الفردية للإنسان، ومنها من غلّب النزعة الجماعية. فأما تغليب النزعة الفردية فقد عرفت به الرأسمالية؛ لذلك كانت مبدأً فردياً، يطغى فيه الفرد على الجماعة وينفصل عنها. وأما تغليب النزعة

الجماعية فقد عرفت به الشيوعية؛ لذلك يذوب الفرد في الجماعة ويكون كالسنّ في الدولاب.

وأمّا الإسلام فهو لا يعدّ علاقة الفرد بالجماعة علاقة صراع واصطدام يطغى فيها عنصر ويذوب آخر، بل يعدّها علاقة طبيعية حتمية قوامها الوئام والانسجام وغايتها التكامل. ولهذا نظر الإسلام إلى الجماعة باعتبارها كلاّ غير مجزّإ، ونظر إلى الفرد باعتباره جزءاً من هذه الجماعة غير منفصل عنها. فلا طغيان لعنصر على آخر ولا ذوبان، إنما هو التكامل والانسجام. وقد وصف النبي ﷺ هذه العلاقة بأدقّ وصف وأرقى تعبير فقال: «**المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله**» (رواه مسلم عن النعمان بن بشير)، وقال: «**إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس**» (رواه أحمد عن سهل بن سعد الساعدي).

علاوة على هذا، فإنّ من العناصر التي تتألّف منها الهويّة ما لا تكتمل أركانها إلاّ من خلال الانتماء إلى جماعة.

فعنصر التميّز لا يكتمل إلا بالانتماء إلى جماعة معيّنة؛ لأنّ الإنسان ككائن اجتماعي بمعنى أنه يميل غريزياً إلى العيش في جماعة معيّنة، لا ينفصل وجوده عن وجود جماعة، ولا يبرز تميّزه إلا من خلال جماعته. ومثال ذلك: لما كان المسلمون في منتصف القرن العشرين أفراداً في بلاد الغرب،

لم يشعر الغرب بوجودهم ولم يلحظ تميّزهم ومغايرتهم للبقية، ولكنهم اليوم قد تحولوا إلى مشكلة عويصة في نظر الغرب؛ لأنهم بمرور الزمن بدأ يظهر عليهم الشكل الجماعي فبرزت الفروق بينهم وبين غيرهم.

وكذلك عنصر المطابقة التي تعني من ضمن ما تعنيه المماثلة، فلا يكتمل إلا بالانتماء إلى جماعة؛ لأنّ الإنسان يميل إلى العيش مع من يماثله، وينفر من العيش مع من يغايره. لذلك لا نرى الإنسان يربط علاقة ويوثق صلة إلا بمن يرى أنه مثله أو يوافقه في الفكر والشعور.

لهذا كلّه، فإنّ الانتماء إلى جماعة لا ينفصل عن هويّة الإنسان، بل هو من مقوّمات هويّته.

أهمّية اللغة العربية

يعدّ كثير من الباحثين اللغة مقوّما من مقوّمات الهويّة ومكوّنا أساسيا من مكوّناتها. وهذا صحيح، إذا كانت الهويّة تعتمد في وجودها وتشكّلها على بعد قومي، وأمّا إذا كانت تعتمد على بعد فكري وتقوم على أساس عقدي، فلا تكون اللغة من مقوّماتها. لذلك، فإننا لا نتصوّر فرنسيا لا يتحدث الفرنسية أو ألمانيا لا يتحدث الألمانية، ولكننا بالتأكيد نتصور مسلما يتحدث الفرنسية أو الألمانية أو غير ذلك؛ فالمسلمون اليوم لا يتحدثون لغة واحدة، ومع ذلك فكلّهم يحمل هويّة واحدة هي الهويّة الإسلامية التي يتميّزون بها ويفتخرون.

وسواء كانت اللغة من مقوّمات الهويّة أو لم تكن، فإنّ الجميع يقرّ بأهميتها في التأثير على الأفراد والجماعات من خلال التأثير في عقلياتهم؛ لأنّها هي مفتاح الثقافة وأداة التواصل المعرفي.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لغة للقرآن، فهي لذلك لغة الإسلام. قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف٢)، وقال: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (فصلت٣)، وقال: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (الزخرف٣).

فاللغة العربية مهمّة وضرورية؛ لأنها أداة ربط الصلة بالله سبحانه وتعالى من خلال التعبّد بتلاوة القرآن والصلاة، ولأنّها المفتاح الذي يمكّن المسلم من

فتح خزائن المعرفة الإسلامية ليطّلع على كنوزها الثقافية، فيأخذ منها ما يعمّق وعيه بهويّته ويساعده في ترسيخ أسسها وتثبيت أركانها. ولهذا عني السلف بهذه اللغة وحثّوا على تعلمها. فعن أبيّ بن كعب قال: «تعلموا العربية كما تعلمون حفظ القرآن» (رواه ابن أبي شيبة في المصنف)، وعن عبيد الله بن عبيد الكلاعي قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أعربوا القرآن، فإنّه عربي» (رواه البيهقي في الشعب)، وعن ابن عباس قال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنّه ديوان العرب» (رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الأسماء والصفات)، وقال مالك: «لا أُوتَى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً».

فليست اللغة العربية مجرّد مادة تعليمية يخيّر المرء في تعلمها، بل هي فريضة دينية، تأثم الأمة إن فرّطت فيها، ولا يكتمل دين الفرد المسلم إلا بها، وإنّ أيّ تهاون فيها وحطّ من قيمتها يؤدي إلى الضعف في فهم الدّين وينجرّ عنه أنواع من البدع والضلال. ولهذا قال العالم اللغوي ابن جنّي في الخصائص – وقوله حق –: «إنّ أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها؛ فإنما استهواه واستخف حِلْمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها».

ويحسن بنا في هذا المقام، أن نضرب أمثلة توضّح مدى أهمية اللغة العربية، ومدى حاجة المسلمين إليها:

١. الوقوف على إعجاز القرآن:

للقرآن معان أصلية وأخرى ثانوية تابعة هي خواص النّظم وأسلوب التعبير المظهر فصاحة الكلام وقوّة بلاغته. وهذه المعاني الثانوية لا يقف على روعتها ورفعتها إلا البليغ الملمّ بلغة العرب وفنونها، فيعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثل الكلام. وأما غير البليغ أو الأعجمي فيدرك المعاني الأصلية للكلام، ولا يقف على علو المعاني الثانوية ورفعتها إلا من خلال الاستدلال، فيسلّم بعجز نفسه لعلمه بعجز غيره.

وإذا جهل المسلم اللغة العربية، احتاج لفهم القرآن الكريم إلى ترجمة معانيه إلى اللغة الأجنبية التي يتقنها. واللغة الأجنبية مهما علت، لا تنقل من القرآن إلا معانيه الأصلية، وأما معانيه الثانوية فغير ميسور نقلها. ولا ننكر أن يكون في اللغات الأخرى بلاغة، ولكن ننكر أن تساوي بلاغتها بلاغة العربية، أو أن توافق في دلالة ألفاظها معاني العربية وبيانها وبديعها.

ومثال ذلك: قوله سبحانه وتعالى: **﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾** (النجم ٢١-٢٢).

فالمعنى الأصلي الإجمالي للآيات أنّ القسمة غير عادلة. وهذا هو ما نقلته الترجمة:

الألمانية:

“Verteilt ihr die Geschlechter so, da euch das männliche Geschlecht und Ihm das weibliche gehrt? Das wäre eine ungerechte Verteilung!”

والفرنسية:

“Sera-ce à vous le garçon et à Lui la fille? Que voilà donc un partage injuste!”

والإنجليزية:

“Is it for you the males and for Him the females? That indeed is a division most unfair!”

والهولندية:

“Zijn voor u de mannelijke wezens en voor Hem de vrouwelijke? Dat is dan een onrechtvaardige verdeling!”

ولكن الترجمة لم تنقل المعنى البلاغي بكيفية من التعبير تصوّر دقة استعمال اللفظ وفق المقام، وأدّته بألفاظ عادية في أسلوب عادي. وللوقوف على بلاغة هذه الآيات علينا أن نفهم السياق الذي وردت فيه، وهو: أنّ كفار العرب قالوا كلاما ارتكبوا فيه ثلاثة أنواع من الكفر: أحدها تجسيم الإله سبحانه؛ لأنّ الولادة من أحوال الأجسام. والثاني إيثار أنفسهم بالأفضل؛ إذ جعلوا الإناث لله والذكور لأنفسهم مع اعتقادهم أن الذكور أفضل. والثالث وصفهم للملائكة المقربين من رب العزّة بالإناث مع أنّهم يكرهون الإناث ويتعيّرون بهم. ولذلك، فإنّ الله سبحانه لم يقل: "قسمة جائرة" أو "قسمة ظالمة" أو قسمة ناقصة" أو "قسمة غير عادلة"، بل قال سبحانه "**قسمة ضيزى**"، فأتى باللفظ الغريب الشديد وهو "ضيزى" في هذا المقام

المستنكر الغريب، فلا ينفع مكانها كلمة ظالمة أو جائرة أو غير عادلة مع أنّ المعنى واحد. وهذا لا يفهم معناه ولا يتذوق حلاوته إلا البليغ الملمّ بلغة العرب.

٢. فهم الشريعة

لا يتأتى فهم الشريعة بعمق أي فهم نصوص الكتاب والسنّة، ولا الاجتهاد فيها أي استنباط الأحكام، إلا بامتلاك اللغة العربية. لذلك أجمع العلماء قديما وحديثا على أنّ اللغة العربية شرط من شروط الاجتهاد، فلا يحقّ لأحد يجهل اللغة العربية أن يجتهد في الدّين، ولا يحقّ لأحد أن يفسّر النصوص بغير اللغة العربية وقواعدها.

ونحن نرى اليوم في البلاد الغربية بعض الناس الذين يسميهم الغرب بالمفكرين الإسلاميين، يزعمون الاجتهاد في الدّين ويتكلمون في الحلال والحرام، وينتقدون بشدّة الفقه الإسلامي الذي أطلقوا عليه لفظ "الفقه الكلاسيكي"، مع أنّهم يجهلون اللغة العربية، فلم يفهموا النصوص و لم يطّلعوا على أقوال أهل العلم. وكيف يجتهد في الدّين أو ينقد الفقه، من علم نقد كانط وعقد روسو وقوانين مونتسكيو، وجهل موطأ مالك ورسالة الشافعي ومسند أحمد؟

ونرى أيضا بعض من يسميهم الغرب بالمعتدلين، ممن أعدّهم لأخذ قيادة المسلمين في البلاد الغربية، يروّجون لفكرة تبديل الدّين زاعمين أنّ القراءة

للنصوص قراءتان: حرفية وتأويلية (مجازية)، وما يلزمنا كمسلمين بالبلاد الغربية هو القراءة التأويلية. لذا، فهم يرون أنّ القرآن والسنة يقبلان التأويل بما يوافق قيم الحضارة الغربية ومفاهيمها. وهذا المنهج الذي يقسّم النصوص الشرعية إلى قسمين: قسم يحمل على الحقيقة وهو العقائد والعبادات، وقسم يقع تأويله وهو أنظمة الحياة، منهج لا يمتّ بصلة إلى اللغة العربية التي أنزل بها القرآن الكريم وتكلّم بها النبي صلى الله عليه وسلم. فكما فهمنا وجوب الصيام من قوله سبحانه: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾** (البقرة١٨٣)، نفهم وجوب القصاص من القاتل من قوله سبحانه: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القصاص في القتلى﴾** (البقرة١٧٨)، فلا فرق في الصيغة بين الآيتين. فمن أين فهم أن الصيام واجب على المسلم بينما إيقاع عقوبة القتل على القاتل غير واجب بل هو مرفوض وممنوع لوحشيته ولمخالفته روح العصر!. إننا لا نحتاج إلى هذا التقسيم، ولا يلزمنا التأويل بالمعنى المذكور آنفا.

والحاصل، فإنّ اللغة العربية مهمة جدا، وضرورية لتعميق وعينا بهويتنا، وربط صلتنا بثقافتنا وحضارتنا الإسلامية.

المحافظة على الهوّية

يقال لغة: حافظ محافظة وحفاظاً، على الشيء: واظب عليه وداوم، عليه: سهر عليه وحرسه، عنه: دافع، على العهد: اعتصم به، على شرفه: صانه مما يعيب.

فالمحافظة على الشيء إذن تنصرف إلى معان خمسة هي: المداومة، الرعاية، المدافعة، الاعتصام، والصيانة. وهذه المعاني الخمسة مجتمعة هي التي تجعل لكلمة المحافظة مدلولاً شاملاً جامعاً، وهي المرادة بقولنا المحافظة على الهوّية؛ إذ لا تتحقّق المحافظة الكلّية الشاملة إلا باجتماع المعاني الخمسة، ولا يمكن استكمال المحافظة إذا تمّ الإخلال بمعنى من المعاني المذكورة.

فالمداومة على الهوّية تعني استمرار حملها والمواظبة على ذلك؛ لأنّ تحقّق ذات الإنسان بصفته الفردية والجماعية بهوّية معينة، ليس تحقّقا آنياً مؤقتاً إنما هو مستمر دائم لا يقبل التبدّل والتحوّل؛ لذلك إذا فقدت المداومة على الهوّية فقدت الهوّية نفسها.

وأمّا الرعاية، فتعني السهر على الهويّة وحراستها. فيمنع دخول ما يفقد عناصر التميّز تميّزها، ويراعى عنصر الصفاء والنقاء فيها. ففصل الدين عن الدولة مثلا، من العناصر المناقضة للهوّية الإسلامية، فإذا ألصقت هذه الفكرة بالعقيدة الإسلامية أخلت بتميّزها وأفقدتها صفاءها ونقاءها، وأفسدت الهوّية كلّها. وكذلك فكرة الاندماج والذوبان في المجتمعات

الغربية، فإذا ما قيل بها، ووقع تمريرها باعتبارها لا تناقض الهوّية، أفسدت الهوّية كلّها لما تجرّه من تفريط في بعض مقوماتها وأسس تميّزها.

وأمّا المدافعة، فتعني بذل الغالي والنفيس دفاعا عن الهوّية، والاستماتة في الإبقاء عليها واستمرار حملها. فالإنسان عادة يضحي بماله، ونفسه، وجهده من أجل الدّفاع عن غال يملكه أو ثمين يحوزه أو عظيم يعتقده. ولّما كانت الهوّية أغلى ما يملك الإنسان؛ لأنّها تعني ذاته، وكينونته، ومقدساته، ودينه، كان على الإنسان أن يدافع عنها من أجل المحافظة عليها. فإذا كان الإنسان مستعدا للتضحية بروحه دفاعا عن ماله، أو ولده، أو عرضه، أو بلده، أفلا يكون مستعدا للتضحية من أجل الدفاع عن دينه، وحضارته، وثقافته. عن يونس بن جبير قال: «شيعنا جندب بن عبد الله [الصحابي] فلما بلغنا حصن المكاتب قلنا له: أوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله والقرآن، فإنه نور الليل المظلم وهدي النهار، فاعملوا به على ما كان من جهد أو فاقة، وإن عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك، فإن تجاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك، فإن المحروب [من سلب ماله] من حرب دينه، والمسلوب من سلب دينه، إنه لا غنى بعد النار ولا فاقة بعد الجنة، وإن النار لا يفك أسيرها ولا يستغني فقيرها» (رواه أحمد في الزهد والبيهقي في الشعب).

وأمّا الاعتصام، فيعني الالتزام بالهوّية والتمسك بها. فلا يتخلى الإنسان عنها إذا ما شعر بضيق بسببها، أو أحسّ بحرج إذا أظهرها، بل يتشبّث بها

ويرى العصمة من الضياع والمنعة من التيه والذلّ في التمسك بها. فهي ركنه الشديد الذي يأوي إليه حين المحن، وسفينة نجاته التي يلجأ إليها حين الفتن.

وأمّا الصيانة، فتعني وقاية الهوّية من كل شائبة قد تشوبها، فتغيّرها أو تكدّر صفوها، وتعني أيضا تعهّد الهوّية بكلّ ما يؤمّن حسن بقائها واستمرارها وإظهارها. فيحرص المرء على التجديد فيها، ويسعى لإزالة ما يعوق إشعاعها ويسبب ضعفها وخمود جذوتها، فينشأ من الأفكار والأحكام ما يحييها ويبقيها مستمرة في الزمن، ويبدع من الأساليب ما يقوّيها في النفوس ويظهرها بالمظهر الحسن اللائق بها.

هذا هو معنى المحافظة على الهويّة الذي يجب على المسلمين استحضاره حين التفكير في هوّيتهم ومعنى الحفاظ عليها.

وأمّا بمن أنيط واجب المحافظة على الهوّية، فبالدولة والفرد والجماعة. إلاّ أنّه ليس للمسلمين في هذا الزمن دولة تطبق عليهم شرع الله، وتحكمهم بالإسلام، وتصون ثقافتهم وحضارتهم، وتحافظ على هوّيتهم، ولا مطمع لهم في الدويلات الكرتونية القائمة الآن المسماة بالدول الإسلامية، ولا خير يرجى منها، لذا فإن مسؤولية المحافظة على الهوّية الإسلامية، ملقاة كلّها على عاتق الأفراد والجماعات حتى يأذن الله تعالى في قيام الخلافة، فتتحمّل الجزء الأوفر منها، وتحفظ للمسلمين هوّيتهم في الداخل والخارج.

خاتمة

كانت فكرة التعددية الثقافية فكرة رائجة في بعض الدول الغربية، وكان لها أنصارها من المفكرين والسياسيين. وكانت هذه الفكرة تسمح بهامش للمحافظة على هويّة الأفراد والجماعات، وتدعو إلى الاندماج الجزئي الذي تراه عملية طبيعية تتمّ دون جبر وإكراه. ولكن – كما قال الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (Jürgen Habermas)– "قد عصفت الريح بهذه الفكرة، ولم يعد الأمر محصوراً في الأكاديميين، بل شمل أيضا الساسة وكذلك كتّاب الأعمدة في الصحف؛ فكلهم يرى أن "التنوير" حصن يجب الدفاع عنه وحمايته من التطرف الإسلامي". وقد برّر الفيلسوف الفرنسي باسكال بروكنر (Pascal Bruckner) خطأ فكرة التعددية الثقافية بزعمه أنها تؤدي إلى تفكيك المجتمع وإيجاد مجموعات متعددة معزولة عن بعضها تتّبع قيماً مختلفة. ولذلك أطلق عليها "عنصرية اللاعنصريين". وهكذا ظهر ما يسمى بالأصولية التنويرية من أجل الدفاع عن الحضارة الغربية وحماية قيم التنوير والحداثة، فمنع الحجاب في فرنسا بحجة الدفاع عن العلمانية، ودعت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل الأوربيين إلى الدفاع عن قيمهم المسيحية في مواجهة المتطرفين الإسلاميين وأعداء الديمقراطية، وحذّر جورج جايترفاين السكرتير الخاص لبابا الفاتيكان مما وصفه "بأسلمة الغرب" وطالب بمقاومة القيم الإسلامية باعتبارها خطراً على الهوية

الأوروبية، وطالب حزب رابطة الشمال الدائم في إيطاليا بطرد المسلمين من البلاد، وطالب فيلدرز النائب الهولندي بترحيل ملايين المسلمين ما لم يتخلوا عن الإسلام.

وعليه، فقد برزت اليوم بقوة فكرة الاندماج القسري وسياسة التذويب الإجباري الممثلة في شعار "اندمج أو ارحل" بمعنى أترك إسلامك تبق، وتمسك به ترحل. فلم يبق للآخر أي للمسلم من خيار سوى التخلي عن مميزاته وخصوصياته الحضارية والثقافية أي التخلي عن إسلامه، وتفريغ ذاته لتحلّ فيها هويّة أخرى شكّلها الغرب وفق مقاييسه وقناعاته. فالغرب لا يرضى من المسلمين أن يخضعوا لنظامه فقط، بل يريد منهم أن يتبنوا قيمه ومفاهيمه ويتخلوا عن الإسلام. لذلك، فهو يحمل حملة شعواء على كلّ ما يتّصل بديننا: على العقيدة، وعلى الشريعة، وعلى الخلافة، وعلى القرآن، وعلى النبي ﷺ، وعلى العبادة، وعلى اللغة العربية، وعلى النقاب، وعلى الخمار، وعلى الختان، وعلى الأضحية، وعلى المساجد، وعلى الأئمة، وعلى المدارس، وعلى الأعياد، وعلى الزواج وغير ذلك. فكلّ ما يتّصل بالإسلام عقيدة ونظاما وسلوكا وثقافة وحضارة أصبح في الدول الغربية هدفا للمنع والتشويه والسخرية.

أيّها المسلمون:

قال النبي ﷺ: «**يأتي على النّاس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**» (رواه الترمذي عن أنس بن مالك)، وقال ﷺ: «**ليغشين**

أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل» (رواه الحاكم عن ابن عمر). وها نحن المسلمين في بلاد الغرب نعيش محنة الهوّية، فهل نصبر ونقبض على الجمر، فنتمسّك بهوّيتنا، ونعتزّ بها، ونحافظ عليها، أم نبيع ديننا بعرض من الدنيا قليل، وننسلخ من هويتنا ونضيّعها؟

أيّها المسلمون:

إنّ الإسلام أغلى ما نمتلكه، فإن فرّطنا فيه، انسلخنا من هوّيتنا، وخسرنا في الدنيا والآخرة. قال تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾** (الأعراف ١٧٥-١٧٦).

أيّها المسلمون:

إنّ الواجب الشرعي يحتّم علينا جميعا الاعتصام بحبل الله تعالى، والعمل من أجل المحافظة على هوّيتنا، والتّمسك بديننا، وعقيدتنا، ونمط عيشنا، وقيمنا. فانصروا الله ينصركم، وأوفوا بعهده يوف بعهدكم، **﴿وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** (يوسف٢١).

عناوين للاتصال

❖ الصفحة الرسمية لحزب التحرير:

www.hizb-ut-tahrir.org

❖ المكتب الإعلامي لحزب التحرير:

www.hizb-ut-tahrir.info/english

www.hizb-ut-tahrir.info/arabic